الرحمة المجتمعية في القرآن الكريم
وجـــوها ومعـــــاني
دراسة موضوعية

إعداد الدكتور
عبدالله صــباح المـــلا
عضو هيئة التدريس قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت
abdullah.almulla@ku.edu.kw

الرحمة المجتمعية في القرآن الكريم وجوها ومعاني دراسة موضوعية

عبدالله صباح الملا
قسم التفسير والحديث – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت
البريد الالكتروني: abdullah.almulla@ku.edu.kw

ملخص البحث :

يُقصد هذا البحث الموسوم بـ : حديث القرآن الكريم عن الرحمة (الرحمة المجتمعية في القرآن الكريم وجوها ومعاني)– دراسة موضوعية، إلى دراسة مصطلح الرحمة في القرآن الكريم وذكر أبرز أوجه العلاقات الإنسانية التي نص عليها الدستور الرباني داعيا لنشر الرحمات في تلك العلاقات التي كادت أن تذوب وسط انشغالات البشر ، وقسوة الحياة وضياع الرحمة بين أوساط المجتمع . وقد تتبعت وبينت آراء العلماء وأقوالهم حول بيان هذا المصطلح المفرد، واستخراج ما حواه من معان في مصنفات التفسير المتقدمة والمتأخرة وغيرها، مستخدماً المنهج الوصفي لمعناه، وذلك من خلال وروده في آيات عديدة من كتاب الله. وثم عرض العديد من النصوص وفق المباحث والمطالب المذكورة في خطة البحث، مع الوقوف على المعاني واستخراج الحكم والنكات والفوائد منها، بأسلوب علمي مجرد دون هوى أقصده أو ميلاً لرأي أتعمده. ويهدف هذا البحث إلى إحياء هذا الخلق العظيم في نفوس الناس، مما يمثل سبباً رئيساً في بناء مجتمع مترابط يشد بعضه بعضا. وتوصلت من خلال النتائج إلى أن الرحمة صفة لله تعالى اشتق منها الرحمن والرحيم. وأن القرآن الكريم نعمة مسداة ورحمة مهداة من الله لخلقه كافة ، وأنه علينا ترجمة خلق الرحمة في علاقاتنا الإنسانية لنحيا في ظلال الآيات القرآنية نحو مجتمع متراحم كريم الخصال .

الكلمات المفتاحية: حديث – القرآن – الرحمة – مفهوم – الصفات – أقوال – معنى النصوص.

Societal mercy in the Holy Qur'an, its faces and meanings, is an objective study

Abdullah Sabah Al-Mulla
Department of Interpretation and Hadith - College of Sharia and Islamic Studies - Kuwait University
e- mail: abdullah.almulla@ku.edu.kw

abstract:
This research which is entitled "The Holy Qur'an narration on mercy) is an objective study for studying the term mercy in the Holy Qur'an. I followed and showed the opinions of the scholars and their sayings about clarifying this singular term, and extracting the meanings that it contained in the early, late and other works of interpretation classifications by using the descriptive approach to its meaning as it is contained in many verses of the Book of God. Furthermore, the research presented many texts according to the sections and demands mentioned in the research plan. |This is in addition to giving the meaning and extracting the wisdoms, anecdote and benefits gained from them by using a scientific style without deliberately favoring any of the opinions. This research aims at reviving this great creation in the soul of people and therefore, it represents a main reason that leads to building an interconnected society whose members support each other. Moreover, through the results, I found that mercy is an attribute of Almighty God from which the Most Gracious and the Most Merciful was derived. In addition to all the above, the Holy Qur'an is a blessing and mercy given by God to all those created by him

Keywords: narration- Qur'an- mercy- concept- attributes- sayings- texts meaning

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، نحمده سبحانه وتعالى الذي سبقت رحمته غضبه وسبقت مغفرته عقابه، والصلاة والسلام على حبيب رب العالمين سيدنا محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه كتاباً فيه هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ورضي الله عن صحابته الأكرمين والتابعين ومن سار على هديهم واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين

قال تعالي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)[يونس،٥٧]، وقال سبحانه وتعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)[الإسراء،٨٢]، وقال عز وجل: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)[فصلت،٤٤]، والنبي ﷺ رحمة مهداة من رب العالمين للأكوان كلها إنسها وجنها وغيرهما من المخلوقات، فقال تبارك وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[الأنبياء،١٠٧].

وقد أمرنا سبحانه وتعالى بالرحمة والتراحم في كتابه العزيز مع أنفسنا ومع والدينا ومع الناس أجمعين، مسلمهم وغير مسلمهم ، وأمرنا عز وجل أن ندعوه وأن نطلب منه الرحمة، كما جاء في الكتاب العزيز (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[البقرة،٢٨٦]، ووعد ربنا سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالرحمة فقال عز وجل: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ)[التوبة،٢١].

وقد وصف المولى سبحانه وتعالى المسلمين بأنهم رحماء فيما بينهم، فقال جل ثناؤه: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)[الفتح،٢٩].

ونتيجة لكل هذه الرحمات المتقدمة أحببت أن أبحث فيما تناوله القرآن الكريم والمفسرون عن مصطلح الرحمة ووجوهها الإنسانية المتنوعة لعلنا نصيب

منها الحظ الأوفر ، وقد عنونت بحثي بـ: (الرحمة المجتمعية في القرآن الكريم وجوها ومعاني _ دراسة موضوعية) .

❁❁❁❁❁

أسباب اختيار الموضوع:

(١) جدة الموضوع ، وخدمته للقرآن الكريم وأهله المتخصصين في مجال التفسير وعلوم القرآن.

(٢) الرغبة في خدمة كتاب الله ابتغاء مرضاة الله لا سيما وأن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

(٣) ميل النفس لمثل هذه الدراسة، ويرجع ذلك لاهتمامي بعلم التفسير، مما يقوي العزم في إتقان البحث والنظر في مصنفات التخصص.

❁❁❁❁❁

أهداف الموضوع:

(١) يهدف هذا الموضوع إلى جمع وتنسيق المادة العلمية حول مصطلح الرحمة وأنواعها الإجتماعية على وجه الخصوص ، وبيان مفهومها والمبثوثة في كتب التفسير وغيرها في مكان واحد يسهل النظر فيه والاستفادة منه.

(٢) بيان معاني الرحمة والحِكَم والفوائد المستنبطة من النصوص القرآنية الدالة على الرحمة من خلال السياق القرآني.

(٣) إحياء هذا الخُلق العظيم في نفوس الناس مما يمثل سبباً رئيساً في بناء مجتمع مترابط يشد بعضه بعضاً.

❁❁❁❁❁

منهج البحث:

استخدمت المنهج الوصفي لمعنى الرحمة وشمولها للجانب الإجتماعي وتتبعت بعض أبرز أنواعها كما هو مبين في النصوص القرآنية وأقوال المفسرين، وتحليل هذه المواطن وتوضيحها.

❁❁❁❁❁

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، أربعة مباحث وخاتمة، ثم أتبعت ذلك بالفهارس.

أما المقدمة فحوت أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه، ومنهج البحث وخطته.

وأما المباحث فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: حديث القرآن عن رحمة الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الرحمة الإلهية.

المطلب الثالث: الصفات المشتقة من الرحمة.

المبحث الثاني: حديث القرآن الكريم عن رحمة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: حديث القرآن الكريم عن الأسرة ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الرحمة بالوالدين .

المطلب الثاني : الرحمة بالزوجة والأولاد .

المطلب الثالث : الرحمة بالإخوة .

المطلب الرابع : الرحمة بالأقارب .

المطلب الخامس : الرحمة بالخدم .

المبحث الرابع : حديث القرآن الكريم عن الرحمة في المجتمع ، وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : الرحمة بالجار ذي القربى والجار الجنب .

المطلب الثاني : الرحمة بإخوة الإسلام .

المطلب الثالث : الرحمة باليتامى والفقراء والمساكين والأرامل.

المطلب الرابع : الرحمة بغير المسلمين .

المبحث الأول

حديث القرآن الكريم عن رحمة الله سبحانه وتعالى

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول
تعريف الرحمة لغة واصطلاحاً

لغة:

زخرت معاجمنا اللغوية بتعريف لفظة الرحمة فهي كلمة أصيلة في لغة الضاد، فنراها في المعاجم اللغوية تجيء بصيغة الماضي والمضارع والأمر كل بحسب سياقه، وترد كذلك معرفة بالألف واللام وأحيانا نكرة باعتبار المصدر.

الرحمة: من رحمه يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رق له وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدل على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم رحم بعضهم بعضاً. وقد تُطلق الرحمة، ويراد بها ما تقع به الرحمة، كإطلاق الرحمة على الرزق والغيث **(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)**[هود،٩][(١)]

اصطلاحاً:

تعددت عبارات المعرِّفين للرحمة من حيث الإصطلاح فكان من أهمها:

(١) إرادة إيصال الخير وإفاضة[(٢)]، وهذا تعريف عام غير منضبط.

(٢) وعرفها البعض: بأنها النعمة على المحتاج[(٣)]، وهذا تعريف خاص لا يفي بما تحمله الكلمة من معانٍ.

(٣) وقيل: هي رقة تقتضي الإحسان إلى الرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد دون الرقة، فالرحمة منطوية على

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري (١٩٢٩/٥)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٩٨/٢)، لسان العرب، لابن منظور (٢٣٠/١٢).

(٢) التعريفات (ص١٦٤).

(٣) نزهة الأعين النواظر (ص١٣١).

معنيين: الرقة والإحسان، فركز الله في طباع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان.[1]

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني
مفهوم الرحمة الإلهية

الرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه وتعالت صفاته، وهي نوعان:

الأول: رحمة ذاتية موصوف بها سبحانه على الوجه اللائق به، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، لقوله تعالى: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)** [الأعراف١٥٦] .

الثاني: رحمة مخلوقة، وهي من أثر صفة الرحمة الذاتية، وإضافتها إليه سبحانه من إضافة المخلوق إلى خالقه، كقوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)** [الأعراف٥٧].

وفي الحديث: (فقال الله للجنة: أنت رحمتي وأرحم بك من أشاء من عبادي) [2] [3]

ورحمة الله شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع الرحمة، كما أن كثيرا من أسماء الله تبارك وتعالى ينبع منها الرحمة والعفو، بدليل قوله تعالى: **(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا)** [غافر٧]، ولولا رحمة الله لهلك من في السماوات والأرض، وما نراه من نعم ظاهرة وباطنة هي من رحمة الله تعالى.

ولقد تناول القرآن الكريم رحمة الله بتوسع واستفاضة، وفيما يلي أبرز تلكم النصوص التي تتناول رحمته تعالى في الدنيا والآخرة:

قال سبحانه: **(قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)**

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص٣٦٠).
(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٨٤٦) (٤/٢١٨٥).
(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم (٢/٤٠٨).

[الأنعام١٢]. بين تعالى كمال إلاهيته وقدرته ونفاذ تصرفه في عالم المخلوقات بالكلية، ثم أردف بكمال رحمته وإحسانه إلى الخلق فقال: (كتب على نفسه الرحمة).

يقول الطبري: فقضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا منه تعالى استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة.(١)

والذي يظهر من لفظ (الرحمة) أنها عامة، فتعم المحسن والمسيء في الدنيا، وهي عبارة عن الاتصال بهم والإحسان إليهم. (٢)

وثبت عن النبي ﷺ ما يدل على أن الله جل وعلا كتب في كتاب فهو عنده فوق عرشه: (إن رحمتي غلبت غضبي).(٣)

وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) [الأنعام١٣٣].

وقال سبحانه: (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام١٤٧].

وقال سبحانه: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف٥٦].

دلّت النصوص السابقة على أن رحمة الله جاءت في مواضع من القرآن الكريم موصوفة بصفة معينة ككتابة الله لها على نفسه وإنها تسبق غضبه، وأنها واسعة وقريبة من المحسنين، وهي بجملتها تضمنت معنى الرفق والإحسان والرأفة بالعباد، فما من موجود في الدنيا إلا وقد نالته نفحة من رحمة الله، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، وشواهد القرآن العديدة دالة على ذلك.

❁❁❁❁❁

(١) جامع البيان، الطبري (٢٧٣/١١).
(٢) البحر المحيط، أبي حيان (٨٦/٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٢٢) (١١٦٦/٣).

معاني الرحمة في القرآن

استعمل لفظ الرحمة في القرآن على عدة معان منها:

(١) الإسلام والإيمان: ومنه قوله تعالى: **(يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ)** [الإنسان ٣١].

(٢) الجنة: ومنه قوله تعالى: **(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَا)** [آل عمران١٠٧].

(٣) النبوة: ومنه قوله تعالى: **(أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ)** [ص٩]

(٤) القرآن: ومنه قوله تعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** [يونس٥٨].

(٥) الرزق: ومنه قوله تعالى: **(قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ)** [الإسراء١٠٠].

(٦) النصر: ومنه قوله تعالى: **(قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً)** [الأحزاب١٧].

(٧) المطر: **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)** [الأعراف٥٧] أي: المطر.

(٨) العافية: ومنه قوله تعالى: **(قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ)** [الزمر٣٨] أي: عافية.

(٩) المودة: ومنه قوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)** [الحديد٢٧] أي: مودة.

(١٠) التوفيق: ومنه قوله تعالى: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ)** [النساء٨٣] أي: توفيقه.

العصمة: ومنه قوله تعالى: **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)** [يوسف٥٣]. (١)

❁❁❁❁❁

(١) انظر: الوجوه والنظائر، للدامغاني (ص٢٢٤ – ٢٢٧)، نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (ص٣٣١ – ٣٣٤)، الوجوه والنظائر، أبو الهلال العسكري (ص٢٢٧ – ٢٢٨).

المطلب الثالث
الصفات المشتقة من الرحمة

الرحمن، الرحيم

هما وصفان لله تعالى، واسمان من الأسماء الحسنى، مشتقان من الرحمة، ورحمن أبلغ من رحيم، و (الرحمن) خاص لله لا يسمى به غيره ولا يوصف، و (الرحيم) يوصف به غير الله، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمان. (١)

وقد وردا مجتمعين، كما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة١]. وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة١٦٣].

وورد كل من الاسمين الكريمين منفرداً عن الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء٢٩].

والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون بجمعه إلى غيره كمال فوق كمال. (٢)

وعن سر الجمع بينهما مقترنين وتفردهما رأيان لأهل العلم:

الأول: أن (الرحمن) و (الرحيم) بمعنى واحد، وجمع بينهما تأكيداً، قال النحاس: وهو كثير في كلام العرب(٣)، وقال ابن العربي: والصحيح أنهما بمعنى واحد للتأكيد. (٤)

الثاني: التفريق بين (الرحمن) و (الرحيم) في المعنى، وأن الجمع بينهما ليس للتأكيد، وعلى هذا أكثر العلماء، وهو الذي تعضده قاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين، وهي قاعدة: التأسيس أولى من التأكيد. (٥)

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٢٥/٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢١٠/٢).

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد التميمي (ص١٨٨).

(٣) معاني القرآن، للنحاس (٥٤/١).

(٤) الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي (٤٠٦/١).

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحربي (ص٤٩)، ويؤيده ابن عاشور، انظر: التحرير والتنوير (١٧٢/١).

وأشهر الأقوال التي ذكرت في معناها قولان: القول الأول: أن (الرحمن) ذو الرحمة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة. و (الرحيم) ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وهذا القول نسبه الشنقيطي إلى أكثر العلماء واختاره الإمام الطبري. (١)

يقول رحمه الله: إن المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن، دون الذي في تسميته بالرحيم: هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، إما في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال، فلا شك إذا كان ذلك كذلك، أن ذلك الخصوص الذي في وصفه بالرحيم لا يستحيل معناه، في الدنيا كان ذلك أو في الآخرة أو فيهما جميعاً، فربنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة. (٢)

ويقول ابن كثير: وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه٥] فذكر الاستواء باسمه (الرحمن) ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب٤٣] فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين.(٣)

القول الثاني: أن (الرحمن) دال على صفة ذاتية و (الرحيم) دال على صفة فعلية. وهو اختيار القرطبي وابن القيم وغيرهما.

قال القرطبي: وروى أبو عبيدة أنه قال: (الرحمن) ذو الرحمة و (الرحيم) هو الراحم، وقال ابن الحصار: يشير – والله أعلم – إلى (الرحمن) صفة الخالق سبحانه، و (الرحيم) يدل على أفعاله التي يرحم بها عباده. (٤)

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي (٤٨/١).

(٢) جامع البيان، الطبري (٥٦/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٢٦/١).

(٤) الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي (ص٤٠٦)، ولابن القيم كلام جميل في هذا المعنى، انظر: بدائع الفوائد (٣٤/٢، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٧٢/١).

والحقيقة: أن كلا القولين يكمل بعضهما بعضاً، فلا خلاف بينهما، بل هو مزيد بيان وتوضيح، إذ الأول قول علماء التفسير واللغة، والثاني هو بيان من ناحية الاعتقاد في صفات الله ومعانيها عند أهل السنة والجماعة.

ونحن حينما نستعرض القرآن كله نجد أنه إذا ورد الاسمان (الرحمن – الرحيم) مجتمعين فلابد من هذا الترتيب، ولا يمكن أن نجد (الرحيم – الرحمن)، فالرحمن في الدنيا يرحم المؤمن والكافر والمنافق والمشرك، أما في الآخرة فالرحمة لن تكون إلا لعباده المؤمنين، بدليل قوله تعالى: **(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ)** [الأحزاب٤٣-٤٤]

❁❁❁❁❁

المبحث الثاني
حديث القرآن عن رحمة النبي ﷺ

فصلت آيات القرآن الكثير من أخلاق النبي ﷺ، كما وصفه ربه بالرحمة في آيات عدة من كتاب الله، وبالنظر مما جاء في أقوال أهل العلم من المفسرين حول مفهوم رحمة النبي ﷺ في القرآن بان لنا أن هذا المصطلح يتجلى في مظهرين هما: رسالته وخُلقة.

أما رسالته: فقد كانت البشرية كافة في حاجة إليها، إذ بعثه الله صلوات ربي وسلامه عليه على حين فترة من الرسل، وانتشار للأهواء وتفرق من الملل وفساد عام في الدين، بين ملحد وكافر ومشرك، ومحرف للكتب المنزلة ومؤله للأحبار والرهبان، وفساد في الدنيا من إزهاق للأرواح وانتهاك للأموال وقطع للأرحام وغياب للقيم، فكانت أحكام شريعته رحمة للخلق أجمعين.

واما خُلقه: فهو نبي الرحمة والمرحمة، امتلأ قلبه بها فكانت سجية من سجاياه الكريمة، وقد بينها الله في كتابه وفاضت سيرته العطرة بأروع أمثلة الرحمة في تعامله مع أهله وقرابته وأصحابه وتجاوزتهم حتى بلغت أعدائه. (١)

ومن الآيات التي وصف الله بها نبيه ﷺ بالرحمة: قوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)** [الأنبياء١٠٧]

فقد اشتملت هذه الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول صلى الله عليه ومدح مرسله ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للخلق أجمعين.

يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة، وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله

(١) انظر: محاسن التأويل (٤٣١٢/١١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢٥١/٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٠٦/٨).

هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله. (١)

إنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة، فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها.(٢)

ومن الآيات التي وصف الله بها نبيه ﷺ بالرحمة قوله تعالى: **(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [التوبة٦١].

كان النبي ﷺ يسعى في إيصَال الخير والرحمة إلى المنافقين مع كونهم في غاية الخبث والخزي، ثم إنهم بعد ذلك يقابلون إحسانه بالإساءة وخيراته بالشرور. (٣) وقد جرأهم على ذلك إغضاؤه ﷺ عن إجرامهم وإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم(٤)، فإنه لو أمره الله تعالى أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلك أمراً بقطع رقابهم، وبقاؤهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخير لهم في نفس الأمر، لأنه إمهال لهم يُرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للإيمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين. (٥)

وكونه رحمة لهم، لأنه قبل منهم الإيمان الظاهر، لا تصديقاً لهم بل رفقاً بهم، ولم يكشف أسرارهم ولم يهتك أستارهم، وأنه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين. (٦)

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** [التوبة١٢٨]

---

(١) جامع البيان (١٠٦/١٧).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (ص٢٨٨)، وأضواء البيان (٢٨٨/٤).

(٣) التفسير الكبير (٩٤/١٦).

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٤٣/١٠).

(٥) البحر المحيط (٦٤/٥).

(٦) انظر: الكشاف (٢٧١/٢)، إرشاد العقل السليم (٧٧/٤)، فتح القدير (٤٢٩/٢)، روح المعاني (١٢٧/١٠).

وصف الله سبحانه رسوله بصفتين من صفاته العلى وسماه باسمين من أسمائه الحسنى، فإنه قال: **(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)**، وقال: **(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** [البقرة١٤٣]. وهذا نهاية الكرامة[١]، وتقديم الرأفة باعتبار أن آثارها دفع المضار، وتأخير الرحمة باعتبار أن آثارها جلب المنافع، والأول أهم من الثاني، فهو ﷺ يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم. [٢]

قال محمد رشيد رضا: وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة على الكفار والمنافقين، ولا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين، كما هو ظاهر، فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم، لعموم بعثته ﷺ، ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها. [٣]

ومن الشواهد كذلك قوله تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** [آل عمران١٥٩].

هذه الآية وما سبقها من السورة الكريمة تحكي أحداث غزوة أحد، في وقعة خالف النبي فيها بعض أصحابه، فكان لذلك من الفشل وظهور المشركين ما كان حتى أصيب النبي – ﷺ – مع من أصيب النبي ﷺ وقتل عدد كبير من المسلمين، وكأنه يقول: إنه كان من أصحابك يا محمد ما كان، كما دلت عليه الآيات وهو مما يؤاخذون عليه فلنت لهم وعاملتهم بالحسنى، وإنما لنت لهم بسبب رحمة عظيمة أنزلها الله على قلبك وخصك بها فعمت الناس فوائدها، وجعل القرآن ممدا لها بما هداك إليه من الآداب العالية والحكم السامية التي هونت عليك المصائب وعلمتك منافعها وحكمها وحسن عواقبها للمعتبر. [٤]

هكذا كان رسول الله ﷺ رحيماً مع أصحابه الذين خالفوا أمره بل وتجاوزت رحمته أولئك حتى شملت أعداؤه الذين آذوه ولم يتبعوا هديه وصدوا عن سبيل

(١) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (٣٦٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٤٢/١٠).
(٢) انظر: روح المعاني (٥٢/١١).
(٣) تفسير المنار (٧٢/١١).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٤٤/٣)، تفسير المنار (١٦٣/٤).

الله، حتى قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، فقال: (إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة). (١)

وفي الحديث الآخر: قال ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة)(٢)، أي: ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح وظفر ومن لم يقبل خاب وخسر. (٣)

❁❁❁❁❁

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٥٩٩) (٤/٢٠٠٤).
(٢) أخرجه البزار (١٦/١٢٢) رقم (٩٢٠٥)، والحاكم (١/٣٥)، ووافقه الذهبي.
(٣) انظر مرقاة المفاتيح (٩/٣٧١٤).

المبحث الثالث
حديث القرآن الكريم عن الرحمة في الأسرة ،
وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول
حديث القرآن الكريم عن الرحمة بالوالدين

أكد النظم القرآني حقوق الوالدان أيما تأكيد وبتنوع فريد فقال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء٣٦]. وقال تبارك وتعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الأنعام١٥١]. وقال جل ثناؤه: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء٢٣]. وقال سبحانه: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ) [لقمان١٤].

كلها أوامر تدل على وجوب الفعل الحسن(١)، وقد قيل: إن الشكر مبني على خمسة قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه، وأن لا يستعملها فيما يكره(٢). وهي كلها واجبة في حق الوالدين.

وعلى هذا فإن معاني البر والإحسان والشكر للوالدين، إنما هي في حقيقتها من صميم معنى الرحمة التي هي في أصلها الرقة والعطف والرأفة.

ولنتدبر قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء ٢٣ – ٢٤].

يقول الطبري: في قوله (وَقَضَى رَبُّكَ) اتحاد معنى البر وان اختلف تفسير اللفظ (بتصرف)، وعن ابن عباس (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ) يقول: أمر وأمركم ان تحسنوا إلى الوالدين وكن لهما ذليلا، رحمة منك بهما، تطيعهما فيما أمراك به ما لم يكن معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا. (٣)

---

(١) انظر: البحر المحيط (٦/٢٣).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٢٣٤).

(٣) جامع البيان (٨/٥٨)، وانظر: معاني القرآن، الزجاج (٢/٤٩).

وقرن الأمر بالإحسان للوالدين بعبادته وحده جل وعلا يدل على شدة تأكيد وجوب بر الوالدين. (١)

وللفخر الرازي، توجيه فريد حول البر بالوالدين واقترانهما بعبادة الله فقال: (إنما أردف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه.

أحدها: أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعم النعم، وذلك لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنهما منعمان عليه بالتربية، وأما غير الوالدين فلا يصدر عنه الإنعام بأصل الوجود، بل بالتربية فقط، فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

وثانيها: أن الله سبحانه هو المؤثر في وجود الإنسان في الحقيقة والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر، فلما ذكر المؤثر الحقيقي أردفه بالمؤثر بحسب العرف الظاهر.

وثالثها: أن الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عوضا البتة بل المقصود إنما هو محض الإنعام والوالدان كذلك، فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد عوضا ماليا ولا ثوابا، فإن من ينكر الميعاد يحسن إلى ولده ويربيه، فمن هذا الوجه أشبه إنعامهما إنعام الله تعالى.

الرابع: أن الله تعالى لا يمل من الإنعام على العبد ولو أتى العبد بأعظم الجرائم، فإنه لا يقطع عنه مواد نعمه وروادف كرمه، وكذا الوالدان لا يملان الولد ولا يقطعان عنه مواد منحهما وكرمهما، وإن كان الولد مسيئا إلى الوالدين. (٢)

والملاحظ من الآيتين الكريمتين أن الله تعالى قد شدد على ضرورة الإحسان إلى الوالدين في جميع أحوالهما وبالأخص حين يضعفهما الكبر في السن، مما يشعر الإبن بأنه مدان لوالديه بالكثير، فهما اللذان اعتنيا به حين كان صغيراً لا يقوى على القيام بشيء من احتياجاته، فضلا عن أنهما كانا السبب في وجوده، وهذا ما فهمه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يلقى أعرابياً فيسلم عليه، وينزل من حماره

(١) أضواء البيان (٣/٨٥).

(٢) التفسير الكبير (٣/١٦٥ – ١٦٦) بتصرف.

ليحمل عليه الأعرابي، ويهديه عمامته فيقول له حينها عبدالله بن دينار – رحمه الله–: أصلحك الله، إنهم يرضون باليسير، فيرد عليه ابن عمر قائلا: إن هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه). (١)

ويتحصل من النصوص السابقة واجبات خمس:

الأول: (فلا تقل لهما أف) أي لا تسمعهما قولاً سيء فيه أدنى تبرم ولا التأفف، وهو التضجر والتألم الذي هو أدنى مراتب القول السيء، وذلك في أي حال، ولا سيما حال الضعف والكبر والعجز عن الكسب، لأن الحاجة إلى الإحسان حينئذ أشد وأولى وألزم، ففي الحديث: (رغم أنفه، رغم أنفه) قيل: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة). (٢)

الثاني: (ولا تنهرهما) أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح.

الثالث: (وقل لهما قولا كريما)، أي: وقل لهما قولا ليناً طيباً مقروناً بالتوقير والتعظيم والأدب الجم.

الرابع: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، أي: تواضع لهما بفعلك، بالرحمة بهما، والشفقة عليهما.

الخامس: (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)، أي: أطلب لهما الرحمة من الله في حال كبرهما وعند وفاتهما، وخصصهما بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما.(٣)

عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: (نعم، الصلاة عليهما

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٥٢) (٨٥/١٦).
(٢) أخرجه مسلم، رقم (٢٥٥١) (١٩٧٨/٤).
(٣) التفسير المنير، الزحيلي (٥٦/١٥).

والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما).[1]

فخلاصة القول من أراد أن يرد إلى ربه موردا حسنا في أخراه ، ويضمن سعادة دنياه ، فعليه بتمام التوحيد مقترنا بتمام الإحسان للوالدين ، في القول والفعل .

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني
الرحمة بالزوجة والأولاد
الرحمة بالزوجة

وثَّق القرآن الكريم أقوى ارتباط بشري بين شخصين مختلفين ليكونا زوجين متكاملين على أسس من الرحمة والسكينة والمودة قبل أن يبنى على ضوابط طاعة الزوجة وقوامة الرجل ، قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (الروم ٢١) . (لتسكنوا) أي : تأنسوا بها ، فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف ، (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي : تواداً وتراحماً بعصمة الزواج ، بعد أن لم يكن لقاء ، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم [2].

فقد رسم الإسلام لذلك البناء طريقاُ معتمداً على العدل والإنضباط ليدلل على أهمية دور كل من الزوجين في حماية تلك الخلية ، فالزوج مؤهل للحراسة والقوامة، وليس للتعسف والقهر، قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) (النساء/ ٣٤) والزوجة تعينه وتطيعة وتخدمه راغبة سعيدة ، تحت ذلك السقف تذوب وتنصهر الخلافات، و ليظللها نظرة الرحمة، وابتسامة الرضا، وكف الأذى، وسط الإحترام المتبادل والحلم والمداراة، قال تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) (النساء آية ١٩) ، لا ألفة بين زوجين

(١) أخرجه أبو داود، رقم (٥١٤٢) (٤/٣٣٦).
(٢) القاسمي ، محاسن التأويل (١٣/ ص٤٧٧٢).

أعظم مما بين الزوجين[١] ، ومحبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما؛ لأن الله قال في حقهما[٢] : (وجعل بينكم مودة ورحمة) [الروم: ٢١]. فجعل بين كل زوجين مودةً ومحبةً، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وجعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة[٣] .

فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق[٤] ، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة[٥] .

و قال ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنكم خلقا وخياركم خياركم لنسائه خلقا)[٦]، فينبغي للعاقل أن يجمع أبواب الأجر لنفسه وأفضلها رحمة في أهله ، قال ﷺ : (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في فم امرأتك)[٧] .

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير٣/٣٥٣ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٦١ .
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/٧١.
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٦/٣٠٩ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٦٣ .
(٦) الترغيب والترهيب (٣ / ٣٥٨) إسناده صحيح أو حسن .
(٧) متفق عليه .

الرحمة بالأبناء

ولتكتمل سعادة بناء الأسرة كان للأبناء الحظ الوافر من الرحمة والشفقة . من الميلاد حتى الوفاة ، فقد أمر تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار، وذلك بتأديبهم ، ونهيهم عن المعصية ، وتعليمهم الحلال والحرام ،رحمة بهم من النار ، قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا)** (التحريم٦) ، و قال ﷺ : (كلكم راع ..)[1]، وجاء في الأثر قول عمر رضي الله عنه أنه قال لرجل : (أدب ابنك ، فإنك مسؤول عنه ، ما أدبته ، وما علمته ؟ وهو مسئول عن برك ، وطواعيته لك)[2]، وهذا الإثر واضح فيه مدى علاقة الرحمة والتواصي بين الأبناء والآباء .

❁❁❁❁❁

المطلب الثالث
الرحمة بالأخوة

أجمل ماقيل في الإخوة أنهم إخوان الصفاء خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعدة البلاء ، ومعونة على الأعداء ، هم روابط الأم والأب ، وهم صلب الرحم الذي وصى الله تعالى به قائلا: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}** [النساء: ١].

وفي قصة نبي الله يوسف عليه السلام أروع مثال قرآني عن رحمة الأخ بإخوته رغم ما يمضى ومضى من نزع الشيطان بين الإخوة ، هذا يوسف الإحسان (عليه السلام) سريعا ما يطوي صفحة سوداء ، متغافلاً عن ماضيها الحزين ، ليرحم إخوة له جاؤوه يتوسمون فيه الكرم والإحسان ، فكان ما أرادوا ، قال عليه السلام لإخوته : (**لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)** (يوسف : ٩٢) ، وكان (عليه السلام) حليماً موفقاً ، لاتثريب أي : لا تعيير

(١) بخاري ومسلم .

(٢) البغدادي : الفقيه والمتفقه (١ / ٤٧) ، ابن القيم : تحفة المودود بأحكام المولود ابن القيم (ص: ١٣٧) .

ولا توبيخ ولا لوم عليكم ، وقال الزجاج : المعنى لا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة ، وحق الإخوة ، ولكم عندي العفو والصفح ، وأصل التثريب الإفساد .[1]

ولنا إلماحة لطيفة بين النبيين الكريمين موسى وأخاه هارون عليهما السلام، قال تعالى فى حق موسى :﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١ – ٥٣] ،قد أعلمنا الله تعالى أن الأخ سند لا يميل، وأمان لا يخيب، لذلك استجاب الله تعالى لدعوة موسى في منح أخاه هارون المشاركة في النبوة ، فهل بعد هذه الصلات من رحمات ! ، فموسى علم عميق حاجته لأخيه ، وهارون عليه السلام قبِلَ الإنضمام بجانب أخاه حباً وسنداً يدفعه لذلك شفقته ورحمته وحبه لأخيه موسى عليه السلام ، فعليكم معاشر الإسلام بالتواصى بالأخوة فهم السد الذريع ، واجتنبوا الخلاف والتناحر رحمة بأنفسكم، وارضاءا لربكم ،وشفقة بوالديكم . (إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)[2] .

❁❁❁❁❁

المطلب الرابع
الرحمة بذي القربى

القرابة في اللغة: يقال قرب يقرب قرباً، وفلان ذو قرابتي، وهو من يقرب منك رحماً. (٣)

والقرابة في الاصطلاح: العلاقة بين الأرحام بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع. (٤)والقرابة والرحم بمعنى واحد، بحيث يطلق كل منهما على العلاقة بين الأرحام بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع، إلا أن في لفظة الأرحام معنى الحث والترغيب على صلة الرحم، وآيات القرآن الواردة في فضل الرحم وحقها وتحريم عقوقها يدخل في حكمها ذوي القربى تباعاً.

يقول القرطبي : وبالجملة فالرحمة على وجهين: عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين. وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه،

(١) تفسير القرطبي ، ص ٢٢٥.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد القربى .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/٨٠).

(٤) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب (ص٢٩٨).

فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.(١)

وتعددت النصوص القرآنية الدالة على الرحمة بذي القربى والأقارب في كثير من السور، وماذاك إلا للتنبيه على عظيم حقهم، فقد يغفل الناس ويتهاونون بحقوق الأقربين مع حرصهم على التودد للأباعد لاجتلاب مصلحة أو دفع مضرة.

ولا يزال هذا الخُلق متفشياً بين الناس حتى وقتنا الحالي، لذلك نجد عدداً من الآيات التي تحض الناس بشكل عام والمسلم على الخصوص بجعل ذوي القربى هم في مقدمة من يهتم بهم.

وسأقتصر على ذكر الآيات الواردة بلفظ (ذوي القربى) دون إدراجهم في معنى أُولُو الأرحام.

قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)** [البقرة٨٣].

والإحسان نهاية البر وغايته وهو داخل في معنى الرحمة وجزء منها، وإنما أمر بالإحسان لـ (ذوي القربى) بعد الوالدين لبيان رتبتهم وتقديمهم على من سواهم من (اليتامى والمساكين) لحكمة عظيمة، ذلك أن الإحسان (لذوي القربى) بالقول والفعل إنما يوثق عاطفة التراحم بين بيوت المسلمين والتي تتألف منها الأمة بشكل عام، ذلك أن عاطفة التراحم وداعية التعاون إنما تكونان على أشدهما وأكملهما في الفطرة بين الوالدين والأولاد، ثم بين سائر الأقربين، فمن فسدت فطرته حتى لا خير فيه لأهله، فأي خير يرجى منه للبعداء والأبعدين.(٢)

كما أن العرب في جاهليتهم قد حرفوا حقوق القرابة فجعلوها سبب تنافس وتحاسد وتقاتل فقطعوا بذلك أرحامهم، وهذا ما حذرنا الله تعالى منه في قوله:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٤٧ – ٢٤٩)..

(٢) محاسن التأويل (٢/١٧٩)، تفسير المنار (١/٣٠٣) بتصرف.

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) [محمد٢٢/٢٣].

ويقول سبحانه (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة٢١٥].

قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه يسألك أصحابك يا محمد أي شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به؟، وعلى مَن ينفقونه فيما ينفقونه ويتصدقون به؟ فقل لهم: ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به، فأنفقوه وتصدقوا به واجعلوه لآبائكم وأمهاتكم وأقربيكم، ولليتامى منكم، والمساكين، وابن السبيل، فإنكم ما تأتوا من خير وتصنعوه إليهم فإن الله به عليم، وهو مُحْصيه لكم حتى يوفِّيكم أجوركم عليه يوم القيامة، ويثيبكم على ما أطعتموه بإحسانكم عليه.

والخير الذي قال جل ثناؤه في قوله(قل ما أنفقتم من خير)، هو المال الذي سأل رسولَ الله ﷺ أصحابُه من النفقة منه، فأجابهم الله عنه بما أجابهم به في هذه الآية. (١)

ويقول سبحانه: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) [الإسراء٢٦]. اختلف المتأولون في (ذي القربى) فقال الجمهور: الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأمة والحق في هذه الآية ما يتعين له صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه. (٢)

قال ابن الجوزي: في قوله: **(وآت ذا القربى حقه)** في حقهم ثلاث أقوال: أحدها: أن المراد به: برهم وصلتهم، والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة، والثالث: الوصية لهم عند الوفاة. (٣)

والوصية: مشروعة في وجوه الخير المتعددة، ولكنها تستحب للأقارب غير الوارثين، لأن الوصية لهم لون من ألوان الإحسان والرحمة التي أمر الله بها لذوي القربى لأن ذلك نوع من أنواع التكافل والتعاضد ومدعاة للتآلف.

---

(١) جامع البيان (٤/٢٩١).
(٢) المحرر الوجيز (٣/٤٥٠).
(٣) زاد المسير (٣/٢٠).

قال تعالى: **(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)** [البقرة١٨٠].

يقول ابن كثير: اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين. وقد كان ذلك واجبا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه، وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله، يأخذها أهلوها حتما من غير وصية ولا تحمل منة الموصي، ولهذا جاء الحديث في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث).[١][٢]

ومن خلال هذه النصوص يتبين أن الوصية للأقارب غير الوارثين مستحبة وليست واجبة.[٣]

إلا أن باب الصدقة لهم ومواساتهم بالمال يُعدّ من الإحسان الذي رغب الباري به، حيث يقول: **(لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ)** [البقرة١٧٧].

والبر: هو كل ما يتقرب به إلى الله من الإيمان به وصالح الأعمال وفاضل الأخلاق، **(وآتى المال على حبه)** أي: أعطاه، وذوو القربى هم المحتاجون، وهم أحق الناس بالبر، إذ المركوز في الفطرة أن الإنسان يألم لفاقة ذوي رحمة وعدمهم أشد ما يألم لغيرهم، فهو يرى أن هوانه بهوانهم وعزه بعزهم، فمن قطع رحمه وامتنع عن مساعدتهم وهم يائسون، وهو في نعمة من الله وفضل فقد بعد عن الدين والفطرة، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (إن الصدقة على

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٨٧٠) (١١٤/٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٨٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٠/١).
(٣) أحكام القرآن، ابن العربي (١٠٣/١).

المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)[1] [2]. أي: صدقة وصلة رحم.

ومما ورد في السنة في فضل صلة الرحم والحث عليه أحاديث عدة، منها ما روي عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) [3]. فمن أسباب دخول الجنة دار المتقين صلة الرحم وسلوك كل سبيل يؤدي إليها.

❁❁❁❁❁

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٢٢٦) (١٦٤/٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٤٤) (٥٩١/١).

(٢) تفسير المراغي (٥٦/٢).

(٣) رواه الترمذي وصححه رقم (١٦٩٧) (٦٥٢/٤).

المبحث الرابع
حديث القرآن عن الرحمة في المجتمع

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول
الرحمة بالجار

هي من الروابط الجميلة التي يتقوى بها المجتمع وتشد بها أواصره ، قال تعالى : ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ (سورة النساء: ٤)، القول فى تأويل قوله تعالى: { وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ }. اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك والجار ذي القرابة والرحم منك. ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى، عن علىّ بن أبى طلحة، عن ابن عباس، قوله: { وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ } يعنى: الذي بينك وبينه قرابة.وعن قتادة قال : { وَٱلْجَارِ ذِى } إذا كان له جار له رحم، فله حقان اثنان: حقّ القرابة، وحقّ الجار. [1] .

القول فى تأويل قوله تعالى: { وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ }. اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: والجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه. ذكر من قال ذلك:ابن عباس _ رضى الله عنه _ وعن السديّ قوله : { وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ } الجار الغريب يكون في القوم ، وعن قتادة وابن أبي نجيح، عن مجاهد: { وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ } جارك من قوم آخرين [2].

كما ورد عن النبى ﷺ أن رجلا قال له : يا رسول الله (إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقاتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال: لا خير فيها هي في النار، ثم قال يا رسول الله إن فلانة تصلي المكتوبة وتتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي أحدا فقال رسول الله: هي في الجنة)[3] ،وتبلغ وصية الرسول الكريم بالجار حدا من الأهمية والخطورة يجعل الإحسان إليه، ورد السلام

(١) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري (ت ٣١٠ هـ) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) رواه أحمد .

واجابة الدعوة ، والتنزه عن أذاه ، وحفظ عرضه ، وتفقد حاجته علامة من علامات الإيمان بالله واليوم الأخر ونتيجة حتمية من نتائجه الحِسان.

❁❁❁❁❁

المطلب الثاني
الرحمة باليتيم

أصل اليتيم في اللغة من الإنفراد، واليتيم من فقد أباه، وإن فقد أمه مع أباه كان يتيماً أيضاً، وسيد الأنام محمد ﷺ توفى والده وأمه حامل به، واجتمع عليه بعد فقد أبيه فقد أمه وهو طفل لم يبلغ سن العاشرة، وكانوا يسمونه يتيم ابي طالب.

واليتيم اصطلاحاً: الصغير الذي فقد أباه وهو دون سن البلوغ(١)، وقد وصى الله تعالى في كتابه الكريم في غير ما موضع عباده المؤمنين بالإحسان إليه والرأفة به والعطف عليه، وبالعدل معه وإنصافه والإنفاق عليه ورعايته وتنمية ماله وحسن مخالطته والتحذير من قهره واستغلاله وأكل ماله بغير وجه حق.

كل هذه المعاني السامية إنما هي جزء من الرحمة التي هي النبع الأصيل لهذه الرحمات ومشتقة من معانيها. يقول تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)** [البقرة٨٣].

تشير الآية الكريمة إلى أن الإحسان إلى اليتيم من بنود المواثيق والعهود التي أخذها الله سبحانه على الأمم والشعوب، وهذا الإحسان حق أصيل لليتامى وليس تفضلاً من الناس. والرحمة في اليتيم تعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إليهم.

وللإحسان ضدان: الإساءة وهي أعظم جرماً، وترك الإحسان بدون إساءة وهذا محرم لا يجب أن يلحق بالأول. (٢)

---

(١) تهذيب اللغة (٢٤١/١٤)، والمفردات (ص٨٨٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٨٥/٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٥٨٣/١).

كما أوجب الحق سبحانه العدل معه كما قال: (أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) [النساء١٢٧]، يقول الشنقيطي: والقسط هو العدل ولم يبين هذا القسط الذي أمر به لليتيم، ولكنه أشار له في مواضع أخر، كقوله: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) [الأنعام١٥٢]. وقوله: (قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة٢٢٠]. وقوله: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) [الضحى٩]. وقوله: (وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ) [البقرة١٧٧]، ونحو ذلك في الآيات. (١) .

ومن الرحمة في اليتيم: إطعامه والإنفاق عليه، وهذا من أفضل وجوه نفقة المسلم، كما قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة٢١٥]. قال الواحدي: إن الإنفاق في هذه الآية لا يراد به الصدقة عن الموت، وإنما يراد به النفع في الدنيا والإيثار بما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى، فأخبر الله تعالى أن من قصد ذلك ينبغي له يبر بذلك المذكورين في هذه الآية. (٢) ، وحذر المولى سبحانه من الإساءة إلى اليتيم، فقال جل شأنه: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) ١ (فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ) [الماعون١، ٢]. والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام، إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً. (٣) ، وأمر سبحانه بحسن مخالطته كما يحسن الرجل لأبنائه ورعيته، إذ يقول: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة٢٢٠].

روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت(وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، [الأنعام١٥٢]، و (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) [النساء١٠]، انطلق كل من كان عنده يتيمٌ

(١) أضواء البيان (١/٣١٦).
(٢) التفسير الوسيط، الواحدي (١/٣١٨).
(٣) تفسير القاسمي (١٧/٦٢٧٢).

فعزل طعامَه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيُحبس له حتى يأكله أو يفسُد. فاشتدَّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: **(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم)** [البقرة٢٢٠]، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم. (١)

فتأويل الآية إذا: ويسألك يا محمد أصحابك عن مال اليتامى، وخلطهم أموالهم به في النفقة والمطاعمة والمشاربة والمساكنة والخدمة، فقل لهم: تفضلكم عليهم بإصلاحكم أموالهم من غير مرزئة شيء من أموالهم، وغير أخذ عوض من أموالهم على إصلاحكم ذلك لهم خير عند الله وأعظم لكم أجراً، لما لكم في ذلك من الأجر والثواب، وخير لهم في أموالهم في عاجل دنياهم، لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم. (٢)

وبالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأن اليتيم فإنه يمكن تصنيفها إلى خمسة أبواب كلها تدور حول دفع المضار عنه، وجلب المصالح له في ماله وفي نفسه، فهذه أربعة وفي حالة الزوجية وهي الخامسة. (٣)

ويستخلص مما سبق أن المراد بالرحمة في اليتامى هي كل وجوه البر والإحسان في معاملتهم وبفعل الواجبات والمندوبات وجميع الطاعات الظاهرة والباطنة وكل ما يتقرب به إلى الله من الإيمان به وصالح الأعمال، لأن اليتامى لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمة الله تعالى بالعباد، الدالة على أنه تعالى أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم الإحسان إلى من فقد آباؤهم، ليصيروا كمن لم يفقد والديه، ولأن الجزاء من جنس العمل فمن رحم يتيم غيره رحم يتيمه. (٤)

❁❁❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤١٨٣) (١١٤/٣).
(٢) جامع البيان (٣٨٠/٢).
(٣) أضواء البيان، الشنقيطي (٥٦٤/٨).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٧/٤)، نظم الدرر، البقاعي (٥٣/٣)، تيسير الكريم الرحمن (٨٣).

المطلب الثالث
الرحمة بالفقير والمسكين

الفقراء والمساكين جزء لا يتجزأ من كيان أي مجتمع، فهم يشكلون الغالبية العظمى في المجتمعات الإنسانية، ولأجل تحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين ونشر مبدأ التكافل الاجتماعي بينهم ليكونوا مجتمعاً متكاملاً متآزراً متعاوناً يأمن فيه العاجز والضعيف والقاصر، ويشعرون أنهم يعيشون بين قلوب رحيمة ونفوس زكية محبة لهم الخير ومعينة لهم على نوائب الدهر، ولن تتحقق هذه الصورة المشرقة للمجتمع المسلم لو ترك الناس ضمائرهم ومشاعرهم، فأوجب الإنفاق وندب إلى العطاء على أهل اليسر والغنى وجعله حقاً لا يجوز التفريط فيه بحال، فقال جل من قائل: **(الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)** [المعارج٢٤، ٢٥].

وحاصل كلام الناس في التفرقة بين الفقير والمسكين ثلاثة أقوال:

الأول: أن الفقير أحسن حالاً من المسكين.

الثاني: أن المسكين أحسن حالاً من الفقير.

الثالث: أنهما صنف واحد وهو الذي لا شيء له فجعلهما سواء.(١)

قال الطبري: والأولى عندي بالصواب قول من قال: (الفقير) هو ذو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع، و (المسكين) هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. (٢)

قال ابن كثير: إنما قدم الفقراء لأنهم أحوج من البقية على المشهور لشدة فاقتهم وحاجتهم.(٣)

وقال القرطبي: ظاهر اللفظ يدل على أن المسكين غير الفقير، وأنهما صنفان إلا أن أحد الصنفين أشد حاجة من الآخر، فمن هذا الوجه يقرب، قول من جعلهما صنفاً واحداً. (٤)

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٥/٦٠) (١٣/٢١١).

(٢) تفسير الطبري (١/٣٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٧٧)..

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٥٨)

وقد حثت نصوص القرآن الكريم على وجوب إيتاء حق الفقراء والمساكين ، منها قوله تعالى : **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** [التوبة٦٠]. ولم يجمع القرآن الكريم بين هذين الوصفين إلَا في هذا النص.

ولما كان طمع البشر في المال لا حد له، وقد يكون الغني أشد طمعاً فيه من الفقير، وكان غير المعصوم من أولياء الأمور، ومن الأغنياء عرضة لاتباع الهوى في قسمة الصدقات، بين الله تعالى مصارفها بنص كتابه قال: **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ)** هذه الآية ناطقة بوجوب قصد الصدقات الواجبة على الأصناف المنصوصة فيها دون غيرهم. (١)

قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، وإنما أنا قاسم والله المعطي). (٢) ، قال الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: الفقير هو ذو الفقر أو الحاجة، ومع حاجته يتعفّف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع، والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، وإن كان الفريقان لم يُعْطَيا إلا بالفقر والحاجة، دون الذلة والمسألة لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين، إنما يعطى من الصدقة.

ومن رحمة الله بالفقير فقد حفظ كرامته وصان عرضه بمراعاة شعورهم في دفع الصدقات بأفضلية إخفائها كما في قوله تعالى: **(إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** [البقرة٢٧١]. (٣)

وامتدح الله سبحانه الفقير المتعفف المستور الحال كريم النفس متنزه عن سؤال الناس رغم حاجته فقال سبحانه: **(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا**

(١) تفسير المنار (٤٢٣/١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٦) (٢٥٠/٦).

(٣) وللعلماء كلام طويل في المقارنة بين الإخفاء والإظهار في هذا الصدد. انظر: معاني القرآن، النحاس (٣٠١/١)، وزاد المسير، ابن الجوزي (٢٢٦/١)، وأحكام القرآن، ابن عربي (٤٧٢/١).

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة٢٧٣].

قال الغزالي: ينبغي أن يطلب بالفحص عن أهل الدين في كل محلة، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل، ممن يكون مستترًا مخفيًا حاجته لا يكثر البث والشكوى. أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته. فهو يتعيش في جلباب التجمل. فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال. كما ينبغي أن يطلب بصدقته من تزكو به الصدقة، كأن يكون من أهل علم. فإن ذلك إعانة له على العلم. والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية. وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم. فقيل له: لو عممت! فقال: إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء. فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم. فتفريغهم للعلم أفضل. (١)

ومن رحمته بالفقير والمسكين أن رفع من قدرهم، فالفقر وقلة ما في اليد ليست عيباً ينقصهم، بل حث على تزوج الفقراء مع وعد الله تعالى لهم بالغنى بسبب الزواج، فقال سبحانه: **(وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ)** [النور ٣٢].

ومن رحمة الله سبحانه الواسعة بالفقير والمسكين أن جعل لهم نصيباً في مصارف شرعية كثيرة منها نصيبهم في الغنيمة، قال تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ)** [الأنفال ٤١].

ونصيبهم عند حضور القسمة، قال تعالى: **(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)** [النساء٨].

ونصيبهم من النفقة، قال تعالى: **(قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)** [البقرة٢١٥].

والإحسان إليهم كما قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ)** [البقرة٨٣].

---

(١) تفسير القاسمي (٣/٣٩٠).

والتصدق عليهم بالطعام والشراب فقال سبحانه: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)** [الإنسان٨].

كما جعل لهم نصيباً من الكفارات المالية قال تعالى: **(فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)** [البقرة٨٩].

ويتضح لنا مدى سعة رحمة الله سبحانه بالفقير والمسكين ورعايته لهم والآيات كثيرة في هذا الباب، وما جاء في السنة في بيان رحمة الله سبحانه ورسوله ﷺ بالفقير والمسكين.

❁❁❁❁❁

المطلب الرابع
الرحمة بأخوة الإسلام

نوه الله تعالى الرحمة لدى المؤمنين فى كتابه العزيز فى معرض الإمتنان والثناء ، قال تعالى فى شأن ذلك ، مادحاً من اتصف به ، قال تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) {البلد : ١٧} ، قال ابن عاشور : (وخص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر ، وتواصيهم بالمرحمة ، لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان ، فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها ، لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر، والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية ، قال تعالى : { رحماء بينهم }(الفتح : ٢٩) قال البغوي :(متعاطفون متوادون بعضهم لبعض ، كالولد مع الوالد)[١] ، وقال ابن جرير : (رقيقة قلوبهم بعضهم لبعض ...) [٢] ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا) [٣]{ ، وقد ربط ابن القيم رحمه الله مقدار ماعند المؤمن من الرحمة هو مقدار ما عنده من والهدى ، فكلما

(١) معالم التنزيل ٤/ ١٩٠ .

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣٢١} ،

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤/ ٢٦١) رقم : (٤٨٤٢) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ، (٤/ ٣٦٨) ، برقم (١٨٩٤) }.

اتصف بالهدى كان العبد أكمل المؤمنين إيمانا وأعظمهم رحمة) [1] ، إن الرحمة بين الخلق من أكبر الأسباب الجالبة لرحمة الله ، فمن أراد رحمة ربه فليرحم الخلق ، قال السعدي : (... من آثار تراحم العباد لبعضهم البعض التمتع بخيرات الدنيا وخيرات الآخرة ، وفقدها من أكبر موانع رحمة الله للناس ..) [2]، قال تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين) (الأعراف : ٥٦) ، وهم المحسنون في عبادة الله ، المحسنون إلى عباد الله ، والإحسان إلى الخلق أثر من آثار رحمة العبد بهم) [3] . فعلينا معاشر الإسلام التخلق بالرحمة لما لها من آثار عظيمة في وحدة صفوفنا ونقاء حياتنا وصفاء آخرتنا ورضا ربنا عز وجل .

❁❁❁❁❁

المطلب الخامس
الرحمة بغير المسلمين

قال تعالى : { **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** } [الممتحنة : ٨] هذه الآية أصل فى معاملة غير المسلمين المعاهدين وحكمها باق غير منسوخ ، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : معنى الآية الرخصة فى الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين بموجب عهد أو أمان أو ذمة.

فالإحسان إلى الكفار غير الحربيين، ولا المساندين لأعداء الدين، لا بأس به ولا حرج فيه،

قال ابن كثير :أي لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم **(أن تبروهم)** أي: تحسنوا إليهم **(وتقسطوا إليهم)** أي: تعدلوا.

---

(١) إغاثة اللهفان ، ج٢، ص١٧٣ .

(٢) تفسير السعدي . بتصرف .

(٣) بهجة قلوب الأبرار ، ص ٢٦٩ ،

وقال السعدي في تفسيره :أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة.

بل المسلم مأمور بالإحسان العام، كما قال الله تعالى :**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}** (البقرة:٨٣).

كما حرصت السنة كل الحرص على الإحسان والعدل مع غير المسلمين ، وحوت في بطونها عددا من النصوص التي تبين عاقبة الظلم خاصة ظلم أهل الذمة ، وتوعد من ظلمهم بأن يكون رسول الله حجيجه يوم القيامة ، منها قوله ﷺ : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه كان يقول " أوصيكم بذمة الله فإنها ذمة نبيكم" ، قال ابن حجر رحمه الله " البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادّ المنهى عنه" لكن التزاور والصدقة وعيادة المرضى والوفاء بالعهد ، وكل ما يحبب الإسلام إليهم ويقربهم إليه .

الخاتمة والنتائج

خلاصة البحث:

(١) الرحمة صفة من صفات الكمال لله عز وجل، ومنها اشتق اسمه "الرحمن" و "الرحيم" سبحانه.

(٢) القرآن الكريم نعمة مسداة ورحمة مهداة من رب العالمين للبشرية جمعاء.

(٣) النبي ﷺ هو نبي الرحمة والمرحمة للعالمين، والمثل الأعلى والقدوة المثلى.

(٤) الرحمة بالوالدين أولى المقاصد السامية بعد عبادة الله سبحانه.

(٥) اعتنى الإسلام بالأسرة عناية بالغة ووضع أسس من العلاقات الإنسانية المبنية على الرحمة والمعروف لتستديم الأسرة في وسط من الرحمة لتقوم بدورها في عبادة ربها وإصلاح مجتمعها .

(٦) تناوُل القرآن الكريم للأخوَّة ضمن الحديث عن صلة الأرحام ، فـ"قرن الأمر بتقْواه بالأمر ببرِّ الأرحام والنَّهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحقَّ .

(٧) من أوثق عرى الترابط الاجتماعي صلة الرحم ورعاية اليتيم.

(٨) الرحمة بالفقير والمسكين من آكد الحقوق الواجبة في مصارف الزكاة والتي هي الركن الثالث من أركان الإسلام.

(٩) الحرص على إيجاد ودعم كل الوسائل المعينة على تقوية أواصر الأخوة الإسلامية ، والحفاظ على حقوقها- بما ينهض بالأمة لتقوم بواجبها الحقيقي.

(١٠) الرحمة بغير المسلمين لا تقل أهمية عن الرحمة بين المسلمين ، لأنه يعكس الوجه المشرق للإسلام . بما يشجع الأخرين بالإلتحاق بأهله عن قناعة وفوة .

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي *الجصاص* الحنفي، ت٣٧٠هـ، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢- أحكام القرآن، لابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، ت٥٤٣هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، للإمام أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي، ت٣٦٨هـ، تحقيق: د/ محمد إبراهيم البنا، طبعة دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤- الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله البخاري، ت٢٥٦هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ت٩٨٢هـ، دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة.

٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام أبي عمر يوسف ين عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي، ت٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام الحافظ عزالدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت٦٣٠هـ، طبعة مطبعة دار الشعب، بدون تاريخ.

٨- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت٦٧١هـ، تحقيق: الشيخ عرفان

العشا الدمشقي، نشر: المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ الإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، تحقيق: علي محمد البيجاوي، طبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٧٠م.

١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت١٣٩٣هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١١- الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين والمستعربين، لخير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

١٢- أنباه الرواة على إنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، ت٦٤٦هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت٧٤٥هـ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤- بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٥- التاريخ الكبير، للحافظ الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

١٦- تجريد أسماء الصحابة، للإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت٧٤٨هـ، راجعه: صالحة بنت الحكيم شرف الدين، طبعة بومباي، الهند، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٧- الترغيب والترهيب، للحافظ الإمام زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ت٦٥٦هـ، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، طبعة دار الحديث، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت٨١٦هـ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٩- تفسير التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ت١٣٩٣هـ، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢٠- تفسير الطبري (جامع البيان)، للحافظ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢١- تفسير القاسمي، تفسير القاسمي، محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٢٢- تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين، ت١٣٥٤هـ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، للحافظ أبي الفداء إسماعيل عمادالدين بن عمر بن كثير القرشي، ت٧٧٤هـ، طبعة دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٢٤- تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت٤٨٩هـ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام المفسر أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت٦٧١هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

٢٦- التفسير الكبير للرازي، للإمام المفسر أبي عبدالله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي، ت٦٠٦هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ت١٣٧١هـ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٢٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢٩- التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت٤٦٨هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٠- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ، طبعة دار الطباعة المنيرية.
٣١- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت٣٧٠هـ، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٢- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت١٠٣١هـ، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٣٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم، :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، المحقق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٥- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، للإمام محيي الدين أبو محمد عبدالقادر القرشي، ت٧٧٥هـ، تحقيق: د/ عبدالفتاح محمد الحلو، طبعة دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، بلا طبعة، ١٩٧٠م.

٣٨- زاد المسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، ت٥٩٢هـ، الناشر: المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ،

٣٩- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٤٠- سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت٢٧٨هـ، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر وآخرون، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤١- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت٤٥٨هـ، طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، ببلدة حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.

٤٢- سنن النسائي، للحافظ الإمام أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، ت٣٠٣هـ، تحقيق: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٣- سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، ت١٠٨٩هـ، طبعة دار الفكر، بيروت.

٤٥- شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت٥١٦هـ، تحقيق: الشيخ علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٦- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ت٣٦٠هـ، تحقيق: د/ عبدالله بن عم، طبعة دار الوطن، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٧- شُعب الإيمان، للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت٤٥٨هـ، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.

٤٩- صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) للحافظ الإمام العلامة أبن حاتم محمد بن حبان البستي، ت٣٥٤هـ، بترتيب: الأمير علاءالدين علي بن بلبان الفارسي، ت٧٣٩هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٠- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله بن إسماعيل البخاري، ت٢٥٦هـ، تحقيق: د/مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، دمشق، دار اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥١- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٩١٨م.

٥٢- طبقات ابن سعد، للإمام الحافظ محمد بن سعد بن منيع، ت٢٣٠هـ، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٥٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي، ت٨٣٢هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ المحدث أحمد علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام العلامة عبدالرؤوف المناوي، ت١٠٣١هـ، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٥٦- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٧- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، الناشر: دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للإمام اللغوي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ت١٠٩٤هـ، تحقيق: د/ عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥٩- لسان العرب، للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور، ت٧١١هـ، طبعة دار الصادر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٦٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت٨٠٧هـ، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٦٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان، محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت١٠١٤هـ، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ت٤٠٥هـ، وبذيله: التخليص للحافظ الذهبي، ت٧٤٨هـ، بإشراف عبدالرحمن المرعشلي، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٦٥- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت٢٤١هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٦٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، طبعة دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

٦٧- المصنف، للحافظ الكبير أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م،.

٦٨- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٩- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، ت٣٣٨هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٠- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد بن خليفة التميمي، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧١- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للإمام أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، ت٦٢٦هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧٢- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله وأبي الفضل عبدالمحسن بن إبراهيم، طبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧٣- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، طبعة دهوك، العراق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٧٤- المفردات في غريب القرآن، للعلامة أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، ت٥٠٢هـ، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٥- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، ت١٧٨هـ، رواية: يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥١م.

٧٦- النجوم الزاهرة في علوم مصر والقاهرة، للمؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، ت٨٧٤هـ، طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٧٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، ت٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٨٠- الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت٣٩٥هـ، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨١- الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، للدامغاني، أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، ت٤٧٨هـ، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

٨٢- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، للإمام أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت٦٨١هـ، تحقيق: د/ إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.